# من بلاغة الإعجاز النبوي في تحديد النوع البشري

إعداد

د. منال السيد محمد مصباح

مدرس البلاغة والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة

# من بلاغة الإعجاز النبوي في تحديد النوع البشري

**منال السيد محمد مصباح**

قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.

**البريد الإلكتروني:** manalmesbah@azhar.edu.eg

**ملخص البحث:**

هذا بحث علمي لغوي بعنوان " من بلاغة الإعجاز النبوي في تحديد النوع البشري، وهو يهدف إلى توضيح بلاغة الإعجاز النبوي في تحديد النوع البشري من ذكر أو أنثى، وقد سبق به نبينا الهادي محمد (صلى الله عليه وسلم) العلم الحديث بأربعة عشر قرنا من الزمان ، بين ذلك من خلال أحاديثه الشريفة ، فالعلم الحديث لم يأت بجديد في هذا الأمر ، لأن نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخبر به ، وليس ذلك فقط ، بل سلط البحث الضوء على الإعجاز البلاغي في قضية الشبه أيضا التي حسمها الهادي البشير (صلى الله عليه وسلم) بالإخبار عنها، فبين كيف ينزع الشبه لأبيه وأعمامه أو أمه وأخواله، ولكن لبعدنا عن السنة الشريفة ظننا أنه من العلم الحديث .

والله تعالى خط لنا طريق النور كله، ولم يترك لنا شيئا في ديننا ودنيانا إلا فصلها في الكتاب والسنة، فقال في القرآن الكريم: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[1] ، سيقال : هذا ليس في الكتاب ، أقول : هذا في السنة ، وقد أمرنا

[1] الأنعام : من الآية ٣٨ .

الله في الكتاب **الكريم باتباع النبي وسنته في قوله تعالى** : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) ﴾[١] .

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج التحليلي التذوقي، وذلك من خلال استخراج أظهر اللآلئ البلاغية في الأحاديث الشريفة الواردة، مع بيان المعنى المقصود إجمالا، ومطابقة الألفاظ للمعاني، ووضوح التفاعل القائم بين اللفظ والمعنى، ومدى تأثيره على المتلقي من خلال الجرس الصوتي أو غيره.

ومن أبرز نتائج هذا البحث أن البلاغة ليست قاصرة على موقف معين، أو مقام بعينه، وليست في كلمات وجمل فقط، وإنما البلاغة تشمل كل الأمور والمقامات، في الأقوال والأفعال، فلكل مقام مقال يليق به، وفعل يحتويه ويقوم به كما تضمن البحث قولا وفعلا، وعلى الله قصد السبيل.

**الكلمات المفتاحية:** البلاغة النبوية ـ تحديد النوع البشري ـ نزوع الشبه ـ الإعجاز النبوي الوراثي.

[١] الأعراف : من الآية ١٥٨ .

# The Rhetoric of the Prophetic Inimitability on Gender Identification

**Manal Al-Sayed Mohammed Mesbah**

Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies, women's branch Al-Azhar University.

**Email**: manalmesbah@azhar.edu.eg

**Abstract :**

The present study aims at manifesting the rhetoric of the Prophetic inimitability regarding gender identification whether it is a male or a female and on how resemblance of the newborn goes to the father and his paternal uncles or to the mother and his maternal uncles. Our Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him) preceded modern science by fourteen centuries.

The study adopts an analytical contemplative approach. It identifies the most prominent rhetorical jewels in the noble Hadith in this regard. In addition, it shows the intended meaning in general terms; it clarifies the interaction between lexis and meaning and its effect on the addressee.

Among the most prominent conclusions of the study is that rhetoric is not restricted to a certain situation, a specific circumstance, or words, and sentences; rather, it encompasses all aspects and perspectives in words and actions. Each context requires suitable speech, and appropriate action as shown in the study.

**Keywords:** Prophetic rhetoric – gender identification – parent-offspring resemblance – Prophetic inimitability in genetics.

## بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

لك الحمد يا من ﴿خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا، فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾[1]، لك الحمد يا من " ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ، * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾[2]، لك الحمد يا من ﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[3]، وأصلي وأسلم عليك يا سيدي يا رسول الله يا من بعثت ﴿دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * ﴾[4].

---

[1] الفرقان من الآية ٥٤ .

[2] الشورى من الآية ٤٩، ٥٠ .

[3] الأعراف من الآية ٥٤

[4] الأحزاب ٤٦.

وبعد

فهذا بحث علمي بلاغي تتربع فيه صلاحية الدين الإسلامي على عروشها معلنة سيادتها لكل العصور، مشيدة بتناسبها وتوافقها مع كل زمان ومكان، وسبقها لكثير مما ادعي أنه جديد، وقد أطلقت عليه " من بلاغة الإعجاز النبوي في تحديد النوع البشري"، وقد قصدت فيه بيان بلاغة الإعجاز النبوي في تحديد النوع البشري من ذكر أو أنثى، وسَبق نبينا الهادي محمد (صلى الله عليه وسلم) للعلم الحديث بأربعة عشر قرنا من الزمان ، وليس ذلك في النوع فقط ، بل في قضية الشبه أيضا حسمها بالإخبار عنها، فبين كيف ينزع الشبه لأبيه وأعمامه أو أمه وأخواله، ولكن لبعدنا عن السنة الشريفة ظننا أنه من العلم الحديث .

والله تعالى خط لنا طريق النور كله ، ولم يترك لنا شيئا في ديننا ودنيانا إلا فصله في الكتاب والسنة ، فقال في القرآن الكريم : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[1] ، سيقال: هذا ليس في الكتاب، أقول: هذا في السنة، وقد أمرنا الله باتباع النبي وسنته في قوله تعالى : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(١٥٨) ﴾[2] .

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج التحليلي التذوقي ، وذلك من خلال استخراج أظهر اللآلئ البلاغية في الأحاديث الشريفة الواردة ، مع بيان المعنى المقصود من الأحاديث وفق دلالات الألفاظ وقواعد الإعراب والبلاغة، مع توضيح التفاعل القائم بين اللفظ والمعنى ، ومدى تأثيره على

---

[1] الأنعام : من الآية ٣٨ .

[2] الأعراف : من الآية ١٥٨ .

المتلقي، ولم أتعرض بالشرح والتحليل في هذا البحث إلا للأحاديث الصحيحة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فهناك أحاديث أخرى في القضية التي تناولتها في نفس المعنى، ولم أتعرض لها بالتحليل لأنها لم تثبت بوجه صحيح عن النبي (صلى الله عليه وسلم) .

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وفهرس للموضوعات.

أولا: المقدمة، وفيها الهدف من الموضوع ، ومنهج البحث ، والخطة التى سار عليها .

ثانيا: التمهيد: ومهدت فيه لفكرة البحث والمراد منه.

أما عن المبحث الأول فهو بعنوان: تحديد النوع البشري بين الإعجاز العلمي والبيان النبوي .

والمبحث الثاني بعنوان: قضية الشبه بين الإعجاز العلمي والبيان النبوي .

ثم الخاتمة، وبها أهم النتائج، ثم فهرس الموضوعات.

أسأل الله أن ينفع بهذا البحث ، وأن يجعله شعاعا من النور هاديا للسنة المطهرة، بحثا عن لآلئها ، وتنقيبا عن دررها ، وسعيا لمبتغاها ، وفهما لحديث المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ تطهيرا للفكر ، وتنقية للروح .

د. منال السيد محمد مصباح

## التمهيد

إذا تدبرنا عملية الوراثة والتكاثر والتكوين بصفة عامة وجدنا أنها من أبرز شواهد القدرة الإلهية في خلق الكائنات الحية ، وأقوى الدلائل والبراهين على بديع صنع الله ، وحكيم تدبيره، وحتى يصير البنيان في أبهى صورة تسر الناظرين ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ، ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[1] وقد سواه الله وأبدع فيه عقلا يفكر ويمايز بين الأشياء، ومنها التفريق بين الذكر والأنثى، فمنهم من يريد الذكور ، ومنهم من يريد الإناث، والأمر أولا وآخرا لله وإرادته، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[2] .

وربنا سبحانه وتعالى لم يترك لنا شيئا إلا خطه كتابه أو سنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)، فما لم يذكر في الكتاب ذكر في السنة ، وقد ورد في أكثر من رواية أن النبي(صلى الله عليه وسلم) سئل عن أمر النوع ( الذكر والأنثى) كما ورد في البحث ، كما سئل عن الشبه ونزوع الولد لأبيه وأعمامه أو أمه وأخواله، ففصل النبي(صلى الله عليه وسلم) ذلك في صورة حقيقية للألفاظ ، بعيدة كل البعد عن الخيال، حتى تصل الحقيقة العلمية المرادة إلى المتلقي في أتم صورها، وتحصل الفائدة المرجوة.

---

[1] سُورَة السَّجْدَة من الآية "٧-٩".

[2] الأعراف من الآية ٥٤.

ففي حديث النوع قال: "فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آنَثَا بِإِذْنِ اللَّهِ"[1]، كما قال في الشبه: "فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ المَرْأَةِ نَزَعَ الوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ المَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتِ الوَلَدَ».[2] "(أي: أشبهها ) ... " وهكذا .

وقد فصل العلم الحديث كيفية ( السبق ، والعلو ، وإيجاد البيئة المناسبة لتحقيق حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي يعد قاعدة وراثية صريحة واضحة ، عكفت الدراسات الحديثة كثيرا على دراستها حتى تنبهت لها، فوجدتها مذكورة منذ أربعة عشر قرنا من الزمان، وقد ذكرتها في البحث هنا، فقد اشتمل البحث على حديث واحد للنوع في المبحث الأول، وحديثين للشبه في المبحث الثاني، ولن أتطرق في هذه الدراسة للمصطلحات العلمية الرنانة دون جدوى ـ خاصة وأن الحديث النبوي بوضوحه يغني عنها ـ من بروتونات وإلكترونات ، وشحنات سالبة وأخرى موجبة ، ولن أذكر ( مندل ) الذي صنف على غير الحقيقة أنه أول من وضع قوانين علم الوراثة ، ولن أذكر الكروموسومات (y) أو (x) أو أي شيء من هذا القبيل ـ وأنا عليه أقدر ـ لأن الحق أن النبي (صلى الله عليه وسلم) هو مؤسس علم الوراثة منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ، كما أثبت هذا البحث كما سنرى.

---

[1] صحيح الإمام مسلم ، (بَاب بَيَانِ صِفَةِ مَنِيِّ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ وَأَنَّ الْوَلَدَ مَخْلُوقٌ مِنْ مَائِهِمَا)، حديث رقم (٤٧٣)، (١٩٠/٢)، دار الجيل، بيروت.

[2] الصحيح المسند للإمام البخاري(ت ٢٥٦ هـ)، (كتاب فضائل الصحابة . كتاب مناقب الأنصار ـ باب كيف آخى النبي ـ صلى الله عليه وسلم . بين أصحابه ) حديث رقم (٣٩٣٨) ، (٥٥٥/٩ ) ،.

**وقد أسسه النبي (صلى الله عليه وسلم) بألفاظ دقيقة صريحة واضحة، بتعبير دقيق، وأسلوب رائق حتى يجد سرعة في الوصول إلى عقل المتلقي بدقة واضحة، دون خيال يحول دون فهم الحقائق أو يبهم وضوحها ، ولكن بجمل واضحة المعاني ، تفسر الغوامض ، وتوضح الحقائق ، وتظهر ما استبهم، إنه البيان النبوي الخالد منه (صلى الله عليه وسلم)، فهو "لم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشد بالتأييد، ويسر بالتوفيق"[1]، كما أنه" لا يتكلف القول ، ولا يقصد إلى تزيينه، ولا يبغي إليه وسيلة من وسائل الصنعة، ولا يجاوز به مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريده"[2]، كما سنرى.**

**********

[1] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي ١٩٥، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٥ م.

[2] السابق ١٩٤.

## المبحث الأول

## تحديد النوع البشري بين الإعجاز العلمي والبيان النبوي .

## المبحث الأول

## تحديد النوع

## الحديث

حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو تَوْبَةَ وَهُوَ الرَّبِيعُ بْنُ نَافِعٍ حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ يَعْنِي ابْنَ سَلَّامٍ عَنْ زَيْدٍ ـ يَعْنِي أَخَاه ـ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَلَّامٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو أَسْمَاءَ الرَّحَبِيُّ أَنَّ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَهُ قَالَ:

كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَجَاءَ حِبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا، فَقَالَ: لِمَ تَدْفَعُنِي؟ فَقُلْتُ: أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟ قَالَ أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ، فَنَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعُودٍ مَعَهُ فَقَالَ سَلْ...."، فسأله الْيَهُودِيُّ عن أشياء، فأجابه النبي (صلى الله وسلم) عنها، فقال اليهوديَ: صَدَقْتَ، "..... قَالَ وَجِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ، قَالَ: يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟ قَالَ أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ، قَالَ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ الْوَلَدِ...، قَالَ مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آنَثَا بِإِذْنِ اللَّهِ، قَالَ الْيَهُودِيُّ: لَقَدْ صَدَقْتَ، وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ، ثُمَّ انْصَرَفَ،

فَذَهَبَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنْ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى أَتَانِيَ اللَّهُ به"[1].

**بين يدي الحديث الشريف**

يسطر الحديث الشريف بلاغة النبي (صلى الله عليه وسلم) قولا وفعلا، فالحديث يتلو علينا دررا من بلاغة أخلاقه قبل كلماته، وكيف كان عظمة خلقه مع اليهودي الذي أتاه في مكانه وناداه باسمه مجردا، ولم ينهره أو يرده، بل استمع إليه، وأجابه فيما سأل، بأسلوب الحوار النبوي حتى انصرف اليهودي من أمامه وقد امتلأ عقله وتيقن قلبه أن محمدا(صلى الله عليه وسلم) نبي مرسل، قنعت بها نفسه، وفاض بها قلبه، فأقر بها لسانه قائلا:

(لَقَدْ صَدَقْتَ، وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ، ثُمَّ انْصَرَفَ).

**وجه الإعجاز في الحديث الشريف**

تعرض الحديث الشريف لقضية التذكير والتأنيث مبينا بوضوح تام، كيف يكون الجنين ذكرا أو أنثى، مع ذكر صفات ماء الرجل وماء المرأة والفرق بينهما، " قَالَ النبي (صلى الله عليه وسلم) "مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آنَثَا بِإِذْنِ اللَّهِ"، وهو ملخص الدراسات الحديثة بعد مئات الأعوام من إعلان النبي (صلى الله عليه وسلم) لهذه القاعدة

[1] صحيح الإمام مسلم ، (بَاب بَيَانِ صِفَةِ مَنِيِّ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ وَأَنَّ الْوَلَدَ مَخْلُوقٌ مِنْ مَائِهِمَا)، حديث رقم (٤٧٣)، (١٩٠/٢)، دار الجيل، بيروت.

العلمية، ففي ظل تقدم العلوم الطبية أصبح من المعلوم أن الحيوان المنوي الذي هو جزء من مني الرجل يتكون من جزئين :

** الجزء الأول إذا ما لقح البييضة كان جنس المولود ذكرا، وهو يعيش داخل الرحم لفترة قصيرة، ويفضل الوسط القاعدي ، وهو "خفيف الوزن، سريع الحركة، يعيش زمنا قصيرا"[١].

** الجزء الثاني وهو إذا ما اتحد مع البييضة كان جنس الجنين أنثى، وهو أكبر حجما من الأول، ويعيش داخل الرحم لفترة أطول من الجزء الأول، ويتميز ببطء حركته، ويعيش في الوسط الحامضي"ثقيل الوزن، بطيء الحركة يعيش زمنا أطول من الذكري"[٢]

وبناء على ذلك تم استنتاج نظرية علمية تنص على أن الزوجين إذا أرادا أن يرزقا بمولود ذكر فعليهما الامتناع عن الاتصال حتى وقت التبويض، ووقت التبويض غالبا ما يكون في اليوم الرابع عشر من دورة المرأة[٣]، مما يعطي الفرصة للحيوان المنوي المكون للذكر أن يلقح البييضة بسبب سرعة حركته ووصوله للبييضة قبل المكون الأنثوي ، أما إذا كانت الرغبة بجنين أنثى فإنه ينصح بمنع الاتصال قبل يومين من التبويض ، حيث يتوقع انقضاء الحيوان المنوي الذكري خلال هذه الفترة، وتكون الفرصة مهيئة للحيوان المنوي المكون للأنثى للاتحاد مع البييضة وإخصابها.

[١] رؤية شرعية في تحديد جنس الجنين، خالدبن عبد الله المصلح ٢٤ .

[٢] رؤية شرعية في تحديد جنس الجنين، خالدبن عبد الله المصلح ٢٤ .

[٣] فلو اعتادت المرأة ستة أيام للحيض فإنها تزيد عليها ثمانية أخرى.

" فالحيوان المنوي المذكر أسرع حركة من المؤنث، ولكنه أقل قدرة منه على تحمل الحموضة، ولذلك فهو يموت بعد يوم واحد تقريبا إن لم يتمكن من تلقيح البييضة، بينما يستطيع الحيوان المنوي المؤنث أن يمكث في انتظار البييضة أو في الطريق إليها أكثر من خمسة أيام، والمعروف أن البييضة تخرج من المبيض في اليوم الرابع عشر من دورة الطمث عند المرأة، ولا تستمر صالحة للتخصيب أكثر من يومين من وقت الإباضة".[1]

"وانطلاقا من هذه المعطيات فإن أنسب الأوقات لإنجاب ذكر هو أن يحدث الاتصال بين الزوجين يوم الإباضة أو اليوم الذي يليه ، حيث تكون فرصة الحيوان المنوي المذكر مواتية في الوصول إلى البييضة قبل الحيوان المؤنث، والبييضة آنذاك موجودة وصالحة للتخصيب، أما لإنجاب الأنثى فالأنسب أن يكون الاتصال قبل الإباضة بيومين أو ثلاثة ليتوافق نزول البييضة مع وصول الحيوان المنوي المؤنث إليها".[2]، وهذا ما يفسره حديث المصطفى (صلى الله عليه وسلم): " فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آنَثَا بِإِذْنِ اللَّهِ ".

<u>من الأسرار البلاغية في الحديث الشريف</u>

لأسلوب الاستفهام في الحديث الشريف دور بارز، فهو وسيلة للوصول إلى المعرفة بطريقة مثيرة للعقل والوجدان ، ويبعث فيهما شعورا بالارتياح والطمأنينة ، والعدول عن الإخبار إلى الاستفهام لبيان حرص المتكلم على تأكيد المعاني التي يرسلها إلى المخاطب ، وتذكيره بها أملا أن يكون لها الأثر الذي يرجوه ، وفضل أسلوب الاستفهام عن الإخبار: أن المستفهم

[1] "ولد أم بنت" جاك برشن ٩ وما بعدها، نقلا عن ٤٢٤ .

[2] "بنت أم ولد نوع الجنين " هايزل فيليبس تبساهلتون ص ٦٥ وما بعدها نقلا عن ٤٢٥.

كأنه سأل غيره عن هذه الحقيقة وهو يعلم أنه لن يجد بدا من الإقرار بها ، وفى هذا وثوق بالأمر"[1].

وقد تمثل الاستفهام في الحديث الشريف في عدة أسئلة منها:

أولا سؤال النبي (صلى الله عليه وسلم) لليهودي:" أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟ "، سؤال تقريري يحمل في طياته معنى الإنكار، وكأنه (صلى الله عليه وسلم) على يقين بأنه لن يأت مع اليهودي بالنتيجة المرجوة، حتى بعد ما عرف، وقد صدق النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقد انصرف اليهودي بعد اعترافه بصدق النبي (صلى الله عليه وسلم) دون إسلام، غير أنه أقر بصدقه، وتيقن من نبوته مؤكدا ذلك بقوله: (لَقَدْ صَدَقْتَ، وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ، ثُمَّ انْصَرَفَ).

ثانيا: سؤال اليهودي للنبي (صلى الله عليه وسلم) في الأشياء الواردة في الحديث الشريف، ومنها الولد، وكان الهدف منه اختبار معرفة النبي(صلى الله عليه وسلم)، ليكون الجواب دليلا على صدق نبوته، وقد أقر بصدقه، وأنه نبي(صلى الله عليه وسلم)، ثم انصرف.

وفي جواب النبي(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آنَثَا بِإِذْنِ اللَّهِ"...

وضع النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قاعدة علمية واضحة، بألفاظ صريحة مباشرة، خلت من الغرابة والتكلف، وبعدت عن التصوير والخيال، حتى

[1] معانى التراكيب دراسة تحليلية فى علم المعانى د. عبد الفتاح لاشين صـ ٨٨ دار الكتاب الجامعى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

تصل إلى المتلقي كما أراد المتكلم، حيث وصف النبي(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ماء الرجل وماء المرأة كل واحد منهما بكلمة واحدة، لها معنى واحد، مما يدل على غاية الدقة في التعبير، والوضوح في الأسلوب.

وقد تميز الأسلوب بالمساواة بين الألفاظ والمعاني، دون إيجاز مخل أو إطناب ممل، ليناسب المعنى المراد، ومما يلحظ أن النبي الكريم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ساوى بين الرجل والمرأة حتى في الألفاظ :" مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ"، وفي قوله أيضا " فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آنَثَا بِإِذْنِ اللَّهِ" ، دون زيادة في جانب أو نقص من جانب.

وقد عبر النبي(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ب(إِذَا) التي تؤكد الحدوث دون شك أو ريب، كما عبر بالألفاظ الماضية (اجْتَمَعَا، فَعَلَا، أَذْكَرَا، عَلَا، آنَثَا ) لتأكيد تمام حدوث الفعل، إذا حدث فعلا كذا فإن أثره كذا بإذن الله.

وللفظ (علا) دلالته، فالعلو: "عَلاه واعْتَلاه واسْتَعْلاه غَلَبَه وقَهَرَهُ، اسْتَعْلى قال الليث: الفرسُ إِذا بَلَغَ الغاية في الرِّهانِ ، وعَلَوْت الرجل غَلَبْته، والعُلْو ارْتِفاعُ أَصل البناءِ ، والتَّعالي الارْتِفاعُ ، وعَلا بالأَمْرِ اضْطَلَع به واسْتَقَلّ"[1].

وقد انتقى النبي (صلى الله عليه وسلم) لفظ (علا) لقيامه وحده بالمعنى المقصود، فهو يحمل في طياته المعنى الحقيقي للعلو المادي والمعنوي، فيحمل معنى السبق والبلوغ، والارتفاع، والعلو، والغلبة، والقهر، والاستقلال بالأمر، والقيام به، وكلها مقصودة هنا حتى يتحقق العلو.

[1] ينظر لسان العرب لابن منظور، مادة (علا) بتصرف.

والمعنى كما سبق: إذا أتى الرجل زوجته في يوم الإباضة (الرابع عشر من الطمث) فإن الحيوان المنوي الذكري الموجود في ماء الرجل هو من سيلقح البييضة، لأنه أخف "فهو أكثر سرعة، وأنشط حركة"[1] فهو يجري، ولذلك يهلك سريعا في خلال يوم أو يومين، ... ، وإذا أتى الرجل زوجته قبل ذلك (من العاشر مثلا أو الحادي عشر) وتركها قبل الإباضة بيومين فإن المنوي الأنثوي الموجود في ماء الرجل هو من سيلقح البييضة ، لأن الذكور هلكت، ولم يبق إلا الإناث، فهي ثقيلة، بطيئة الحركة، لذا تعيش كثيرا، فيكون الجنين أنثى.

وفي الحديث الشريف تصحيح للمفاهيم التي ترددت كثيرا من أن المرأة هي المسؤولة عن نوع الجنين، فإذا لم تنجب ذكورا تزوج الرجل بأخرى لتنجب له الذكور، فالأمر تنظيم وتطبيق لما ورد في السنة؛ لأن الرجل هو من يحمل النوعين معا في حيواناته المنوية، يحمل الذكور والإناث كما سبق.

وفي قوله (بإذن الله) إيذان بأن الأمر كله بيد الله، وما هي إلا أسباب يتخذها العباد لتحقيق المراد، ولكن إرادتهم لا تتحقق إلا إذا وافقت إرادة الله ومشيئته، فالأمر كله لله ، ومن الله، بإرادته وإذنه ومشيئته، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إذا أراد شيئاً أن يقول لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[2]؛ ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾[3].

---

[1] الأحكام الشرعية والقانونية للتدخل في عوامل الوراثة والتكاثر، للدكتور السيد محمود عبدالرحيم مهران ٢٤٨، ط١، ٢٠٠٥ م.

[2] يس ٨٢ .

[3] الأعراف من الآية ٥٤.

**وفي التعبير بالمثنى في قوله( اجتمعا، أذكرا، آنثا) تصريح واضح ودلالة ظاهرة على أن تحديد نوع الجنين مسؤولية مشتركة بين الرجل والمرأة[1]، فلا يخص المرأة وحدها، ولا الرجل وحده، وهو بهذا رد قول من خص المرأة بأنها السبب الرئيس في تحديد نوع الجنين فكان للرجل أن يتزوج بغيرها بحثا عن الذكور إذا انفردت بإنجاب الإناث.**

**وفي ذلك تمام الدقة، وكمال الوضوح في التعبير، فقد اجتمعت بلاغة الأرض في كلامه (صلى الله عليه وسلم)، إذ أتى بألفاظ مباشرة صريحة توضح حقيقة علمية خالصة دون تكلف أو إغراب، أو مجاز أو خيال.**

**********

[1] تفسير الماوردي = النكت والعيون ، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (٤٥٠هـ)، ٤/ ٣٥٩ ، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

## المبحث الثاني

## قضية الشبه بين الإعجاز العلمي والبيان النبوي .

## المبحث الثاني

## قضية الشبه

وضع النبي (صلى الله عليه وسلم) أسسا لقضية الشبه أيضا ، فبينها وفصلها كما بين تحديد النوع الذي ذكرته في المبحث السابق، ليثبت لنا أن "الصفات الجسدية والسلوكية للبشر هي خصائص فردية قابلة للتوارث بشكل مؤكد في الواقع، وتوارثها في المنظور العلمي والشرعي هو في حكم الثوابت والمسلمات، إلا أن هذه الخصائص وبنفس القدر من التأكيد قابلة أيضا للتأثر بمؤثرات أخرى غير عوامل الوراثة كالبيئة وظروف النشأة، وهو ما يشهد به الواقع والعلم ودلائل الشرع أيضا"[1].

والعاقل إذا تدبر أمر هذه الأحاديث العلمية آمن وأذعن دون نقاش بوجود خالق أوحى إلى نبيه (صلى الله عليه وسلم) بهذه الحقائق، فما كان لرجل في زمن النبي(صلى الله عليه وسلم) ولا في بيئته أن يكون مصدرا لهذه الحقائق، ولا لهذا العلم فيقعده بهذا النحو، ولكنه الله العالم بكل سر وجهر، ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾[2].

وقد استقصيت السنة النبوية المباركة الصحيحة فوجدت حديثين في جانب قضية الشبه، يفصلها ويوضحها، وقد تم شرحهما وتحليلهما خلال هذا المبحث بأسلوب يليق بحديث النبي (صلى الله عليه وسلم).

*********

[1] الأحكام الشرعية والقانونية للتدخل في عوامل الوراثة والتكاثر ٧٧٠ .

[2] الإسراء ٤٣ .

## الحديث الأول

حَدَّثَنِي حَامِدُ بْنُ عُمَرَ، عَنْ بِشْرِ بْنِ المُفَضَّلِ، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ، حَدَّثَنَا أَنَسٌ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلاَمٍ، بَلَغَهُ مَقْدَمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَدِينَةَ فَأَتَاهُ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاَثٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ، مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟، وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ؟، وَمَا بَالُ الوَلَدِ يَنْزِعُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟، قَالَ: «أَخْبَرَنِي بِهِ جِبْرِيلُ آنِفًا» قَالَ ابْنُ سَلاَمٍ: ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلاَئِكَةِ، قَالَ: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ الحُوتِ، وَأَمَّا الوَلَدُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ المَرْأَةِ نَزَعَ الوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ المَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتِ الوَلَدَ» قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي، قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلاَمِي، فَجَاءَتِ اليَهُودُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ فِيكُمْ؟» قَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا، وَأَفْضَلُنَا وَابْنُ أَفْضَلِنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ» قَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، «فَأَعَادَ عَلَيْهِمْ»، فَقَالُوا: مِثْلَ ذَلِكَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا، وَتَنَقَّصُوهُ، قَالَ: هَذَا كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ".[1]

[1] الصحيح المسند للإمام البخاري(ت ٢٥٦ هـ)، (كتاب فضائل الصحابة . كتاب مناقب الأنصار ـ باب كيف آخى النبي ـ صلى الله عليه وسلم . بين أصحابه ) حديث رقم (٣٩٣٨) ، (٥٥٥/٩ ) ،.

**بين يدي الحديث**

**في هذا الحديث الشريف يعلمنا النبي (صلى الله عليه وسلم) أدب الحوار حتى مع من كانوا على غير الملة، إذ أتاه عبد الله بن سلام سائلا ليطمئن لنبوته (صلى الله عليه وسلم) فأحسن استقباله، وحاوره بالحكمة، وأجابه عما سأل ، فما كان من الرجل إلا أن أسلم رغم أنف قومه .**

**من الجانب البلاغي في الحديث النبوي**

**بدأ عبد الله بن سلام حديثه بقوله " إنِّي" بإضافة (إن) لياء المتكلم لتأكيد أن السؤال نابع منه لا من غيره، وفي لفظ " سائلك " عبر بالاسم لثبوت السؤال منه، فالاسم دليل الثبوت والحدوث ، وأضاف إليه كاف الخطاب لتخصيص النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالسؤال ، وإرادة الإجابة منه دون سواه ، وفي قوله "عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي" فيها دلالة التعظيم للمسؤول عنه، لأنها من اختصاصات الأنبياء ، ودلالة صدقهم، وفي جملة " لا يعلمهن إلا نبي " أسلوب قصر، ويؤكد هذا التعظيم ( التنكير) الوارد في لفظ " ثلاث " حيث قصر العلم بهذه الأشياء على الأنبياء فقط ، واختصهم بها دون سواهم عن طريق النفي والاستثناء ، وهو أبلغ طرق القصر وأقواها، ليؤكد قوله ويوطده بهذا الأسلوب، وفي تنكير لفظ " نبي " دلالة التعظيم والهيبة وعلو المكانة وارتفاع المنزلة .**

**ثم بدأ قائلا : " ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ " سأل الرجل عن أشياء منح الله علمها للأنبياء ، والاستفهامات هنا كلها على وجه الحقيقة ، فقد أراد الرجل لها جوابا يبرهن به على نبوة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليقر به حتى يؤمن، فأجابه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ "أخبرني به جبريل**

آنفا"، وقد عبر بالفعل الماضي ( أخبر) لتمام الحدوث وثبوته ومضيه، وأضافه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى نفسه عن طريق ياء المتكلم " أخبرني " ، وخص جبريل ـ عليه السلام ـ بالذكر لأنه أمين الوحي والمبلغ عن ربه، وهو الروح، والرسول بين الله ورسله، وقد قدم الجار والمجرور "به" على الفاعل "جبريل " للاختصاص، أي ليخص هذا الأمر بالإخبار عنه، ويقصره عليه عن طريق التقديم .

وفي لفظ " آنفا " دلالة العلم القديم بالأمر، فالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لن ينتظر الوحي في هذا الأمر ، وإنما مخبر به سابقا من لدن حكيم عليم، وفي قول ابن سلام "ذاك عدو اليهود من الملائكة" أشار إلى جبريل بلفظ " ذاك " المستخدم للبعيد لبعد منزلته، وعلو مكانته، وأضافه إلى كاف الخطاب؛ ليخصه بالذكر دون سواه، وقد أضاف العداء لليهود في قوله " عدو اليهود " ليخصهم دون سواهم بمعاداته من الملائكة، ويخص جبريل أيضا بالعداء أما باقي الملائكة فلا عداوة بين اليهود وبينهم، جبريل فقط هو عدوهم دون الباقين .

وقد شرع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الجواب قائلا "«أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ الحُوتِ، وَأَمَّا الوَلَدُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ المَرْأَةِ نَزَعَ الوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ المَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتِ الوَلَدَ».

مفصلا جوابه عن طريق " أما " الشرطية غير الجازمة، ثم عقب الشرط بالفاء الرابطة الزائدة التي تصدرت جملة الجواب، " فنار..."، وقد نكر (نار) لعظمها وهولها، وفي جملة "تحشرهم من المشرق إلى المغرب " دليل على هولها وعظمتها، فهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرهب من علامات الساعة

حتى يستعد للقاء الله من خافه، ثم يأتينا بأسلوب الترغيب الكائن في جملة:" وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ الحُوتِ"، ترغيبا لمن أراد.

وفي قوله: " وَأَمَّا الوَلَدُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ المَرْأَةِ نَزَعَ الوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ المَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتِ الوَلَدَ"، وهو الشاهد في دراستنا (نزوع الشبه)، فالنبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ يواصل تفصيل جوابه عن طريق "أما" في قوله "وَأَمَّا الوَلَدُ " ليدخل في قضية جديدة استأثر الله بها الأنبياء فهم وحدهم أعلم بها، وهي قضية الولد، وقد تناثر الدر من فم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث أتى بألفاظ صريحة واضحة تناسب المقام العلمي التفصيلي، فاستخدم التراكيب المباشرة لتدل على معنى واحد دون غرابة أو خيال ، دون رسم بالصور، إنه الأسلوب العلمي العملي البحت،" فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ المَرْأَةِ نَزَعَ الوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ المَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتِ الوَلَدَ" ، مؤكدا أسلوبه ب(إذا) لدلالة اليقين والحدوث، والفعل الماضي(سبق) لتمام الحدوث وحصول السبق.

ثم أتى ب" مَاءُ الرَّجُلِ ، مَاءُ المَرْأَةِ " هنا في قضية الشبه، أما في القضية السابقة (تحديد النوع من ذكر أو أنثى) عبر ب" مني الرجل ، ومني المرأة"، وذلك أن ماء الرجل يحوي بداخله المنوي الذكري، والمنوي الأنثوي، وهو العامل الأساس في التذكير والتأنيث، من حيث سبق التلقيح بالذكور أو الإناث فكان الأنسب والأدق في قضية التذكير والتأنيث أن يعبر ب" " مني الرجل ، ومني المرأة " ، أما هنا في قضية الشبه فليس المقصود المنوي لتحديد النوع، وإنما الماء الذي يحمل الصفات الوراثية التي تسود سواء من الأب والأعمام أو الأم والأخوال.

وفي قوله" نَزَعَ الوَلَدَ، نَزَعَتِ الوَلَدَ " أتى بالماضي أيضا لتأكيد نزوع الشبه وحصوله، مادام السبق والتقدم قد حصل، فإن النزوع حادث أيضا، والنزوع هو الشبه، نزع إلى أهله نزوعا: أي أشبه أصله[1].

والفرق بين السبق هنا في قضية الشبه، والعلو هناك في قضية النوع ـ والله أعلم ـ أن العلو هناك من نفس مني الرجل فالحيوانات المنوية من النوعين ذكورا وإناثا منه هو، فأيهما علا على الآخر سواء بالغلبة أو الارتفاع أولا في حال حياة النوعين وعدم هلاك الذكور وذلك في الفترة الأولى، أو بعد هلاك الذكور فتتهيأ الإناث لتلقيح البييضة فتعلو هي، هذا هو العلو من نفس مائه هو، فهو الارتفاع والغلبة ، مني فوق مني.

أما السبق هنا فلأنه بين ماءين ( ماء الرجل ، وماء المرأة) فلابد من التسابق ، وأصل السبق هو التقدم في السير[2]، بصفة المشاركة التي يقصد بها الغلب، والتنافس بين متشاركين، والمتشاركين هنا هما الرجل والمرأة، فالسبق والعلو هنا أليق وأنسب للمشاركة بين فريقين، والعلو هناك وحده أليق وأنسب؛ لأنه من نفس مائه هو، وفي ذلك دليل بلاغته وبيانه وانفراده بما يليق به (صلى الله عليه وسلم)، والسبق والعلو هنا ـ والله أعلم ـ بحدوث نشوة أيهما فيخرج ماؤه أولا.

وبهذا يتبين مدى دقته (صلى الله عليه وسلم) في انتقاء ألفاظه، ومناسبتها للمعاني، وللمقام التي وردت فيه.

*********

[1] المعجم الوسيط، مادة (نزع)

[2] لسان العرب لابن منظور(سبق)

## الحديث الثاني

**حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى الرَّازِيُّ وَسَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ قَالَ سَهْلٌ حَدَّثَنَا و قَالَ الْآخَرَانِ أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ شَيْبَةَ عَنْ مُسَافِعِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ تَغْتَسِلُ الْمَرْأَةُ إِذَا احْتَلَمَتْ وَأَبْصَرَتْ الْمَاءَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَتْ لَهَا عَائِشَةُ: تَرِبَتْ يَدَاكِ وَأُلَّتْ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعِيهَا، وَهَلْ يَكُونُ الشَّبَهُ إِلَّا مِنْ قِبَلِ ذَلِكِ؟ إِذَا عَلَا مَاؤُهَا مَاءَ الرَّجُلِ أَشْبَهَ الْوَلَدُ أَخْوَالَهُ، وَإِذَا عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَهَا أَشْبَهَ أَعْمَامَهُ"[1].**

**<u>بين يدي الحديث</u>**

**هذا هو الحديث الثاني الذي يعضد عملية الشبه ويؤكدها، ولكن الحديث هنا ورد عن طريق استفهام من امرأة أرادت أن تتفقه في الدين، وهي تعلم أنها بذلك أيضا ستعلم غيرها، فلم يغلبها الحياء أو يمنعها من التعرف على أمور دينها، وما يعينها على العبادة، فلجأت إلى الهادي البشير(صلى الله عليه وسلم) حتى تنتقل من دائرة الشك والريب إلى مقر اليقين والطمأنينة.**

**<u>من البلاغة النبوية في الحديث الشريف</u>**

**يعد أسلوب الاستفهام من الأساليب التي اعتمدها القرءان الكريم والحديث النبوي الشريف، للوصول بالمتلقي إلى المعنى المراد ودلالاته الكامنة فى**

[1] صحيح الإمام مسلم ، (كتاب الحيض، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها)، حديث رقم (٧٤١)، (١٧٢/١)، دار الجيل، بيروت.

**النص بدلا من الأسلوب المباشر، حيث يكسب النص غنى وثراء ، لما له من بالغ الأثر في المتلقي ، ونرى الاستفهام بوضوح في أساليب المنهج النبوي فى تعليم المرأة تصحيحا لمفاهيمها، وغرسا لقيم دينية وعقائدية، وتعديلا لفكرة ربما كانت سائدة لديها ، وفضلا عن أهميته البالغة في عملية الإقناع والتواصل والفهم ، حيث يتم من خلاله معالجة بعض الأخطاء ، وتعليم نساء المسلمين أمور دينهن بصورة أكثر تأثيرا ، حتى يقمن بدورهن في المجتمع المسلم كما أراده لهن النبي – صلى الله عليه وسلم**[1].

**عندما سألت أم سليم النبي(صلى الله عليه وسلم) " هَلْ تَغْتَسِلُ الْمَرْأَةُ إِذَا احْتَلَمَتْ وَأَبْصَرَتْ الْمَاءَ"؟، علمت المرأة أن الحياء لا يقف عائقا في أمر من أمور الدين أو التعليم، فكانت جرأتها سببا في وصول حقيقة علمية للبشرية، مازالت تتلى على مر الأزمان، فأطلقت لسانها بأسلوب الاستفهام سائلة، مؤكدة قولها ب(إذا) لدلالة اليقين والحصول ، الأفعال الماضية (احلتمت، وَأَبْصَرَتْ ) ، والماضي للحدوث وتمام الفعل.**

**وقد أضفى التعبير بلفظ (المرأة) على المعنى معنى آخر، وهو الحياء الذي احتوى السائلة، فلابد أن هذا الأمر وقع لها، وإلا ما الداعي لسؤالها عنه وحرصها على العلم به، فكان المتوقع أن تقول: هل أغتسل..؟ وقد يكون عدولها للعموم أيضا، بمعنى أنها أرادت أن يكون الأمر تعليميا لها ولغيرها من جميع النساء، فعدلت بالغيبة عن المتكلم.**

---

[1] أساليب المنهج النبوي في تعليم المرأة (دراسة في الخصائص والمزايا)، د. فريدة محمد علي ٣٦.

وقد كان جواب النبي (صلى الله عليه وسلم) مناسبا لحال المرأة، حيث راعى المصطفى حالها وحياءها فلم يطل في الجواب قائلا: (نعم)، وقد أجابتها السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ بجملة دعائية(تَرِبَتْ يَدَاكِ وَأُلَّتْ،) ولكن الجملة الدعائية هنا خرجت عن معنى الدعاء إلى معنى الاستنكار، فهي تنكر عليها حالها، وهي جملة جرت على لسان العرب عند نكرانهم لشيء ما.

ومما يلحظ هنا أيضا أن المرأة فقيهة إذ عبرت هي أيضا بلفظ (الماء)، وليس المني، وقد وضح الفرق بينهما، وكان لأمنا السيدة عائشة ردة فعل على المرأة وسؤالها" فَقَالَتْ لَهَا عَائِشَةُ تَرِبَتْ يَدَاكِ وَأُلَّتْ "، فما كان من الهادي الكريم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلا أن أمرها "دَعِيهَا" كلمة حوت كثيرا، تمثل الدعوة للعلم والتبحر فيه، وأن الحياء لا يمنع الفقه والعلم، وقد مدحت السيدة عائشة – رضى الله عنها – نساء الأنصار بعد ذلك بتركهن الحياء حيث قالت : " نعم النساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين "[1]

ثم يطلق النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) درارا يقعد بها قواعد، ويبني بها أصولا وعلما برهن به على صدق نبوته في السابق، وصلاح الدين ومجاراته لجميع العصور والأزمان ، أطلق كلماته قائلا:

" وَهَلْ يَكُونُ الشَّبَهُ إِلَّا مِنْ قِبَلِ ذَلِكِ؟ إِذَا عَلَا مَاؤُهَا مَاءَ الرَّجُلِ أَشْبَهَ الْوَلَدُ أَخْوَالَهُ، وَإِذَا عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَهَا أَشْبَهَ أَعْمَامَهُ""

[1] صحيح مسلم ، كتاب الحيض / باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المنى منها ، حديث رقم ٣١٣

وفي القاعدة تأكيد للحديث السابق، وما ورد فيه من كون السبق والعلو أثبت للشبه، معبرا بذلك عن طريق الاستفهام الذي يعد في حقيقته جوابا شافيا لما سألت عنه المرأة، جوابا مؤكدا بمنزلة جوابين، (نعم، ويكون منه الشبه أيضا)، بل إنه (صلى الله عليه وسلم) قصر الشبه على وجود ذلك الماء.

ثم يواصل النبي الكريم قائلا: " إِذَا عَلَا مَاؤُهَا مَاءَ الرَّجُلِ أَشْبَهَ الْوَلَدُ أَخْوَالَهُ، وَإِذَا عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَهَا أَشْبَهَ أَعْمَامَهُ"" ، إعلان مؤكد لقاعدة علمية تبقى مدى الزمان، وفي تكرار (علا، علا)، (أشبه ، أشبه) أسلوب مساواة يليق بقاعدة خبرية خالصة، أخبرنا بها النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق اللطيف الخبير منذ أربعة عشر قرنا من الزمان.

ونقول الأمر أولا وآخرا بيد الله سبحانه وتعالى ، ومتعلق بإرادته، فلا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[1]؛ ﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

**********

[1] الشورى، من الآيتين ٤٩، ٥٠ ،

[2] الأعراف من الآية ٥٤

## الخاتمة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

وبعد ...

فقد من الله تعالى علي أن وفقني لأحيا في رحاب السنة النبوية المطهرة وقت هذا البحث العلمي البياني الذي تبين من خلاله كيف أن النبي – صلى الله عليه وسلم – سبق الدراسات الحديثة مؤسسا لهذا العلم الوراثي ( النوع والشبه )، وكيف كان البيان النبوي جليا حال حديثه عن قضية علمية مبتعدا عن الخيال تقريبا للأفهام ، وصوغا للحقائق، وتوضيحا لها ، مع قوة المنطق ، وبراعة الأسلوب ، ووضوح التعبير ، مراعاة للمقام العلمي ومقتضى حاله .

كما كان النبي – صلى الله عليه وسلم – في محاوراته في الأحاديث الواردة قدوة ومثلا يحتذى، إذ كان هادئا مطمئنا ، محركا للعقل بأفعاله وأقواله ، مما كان له جميل الأثر ، فأجبر من أمامه بالإذعان له ، والإقرار إليه ، فكلامه (صلى الله عليه وسلم) كما قال الرافعي: إذا نظرت إليه "على جهة الصناعتين اللغوية والبيانية، رأيته في الأولى مسدد اللفظ، محكم الوضع، جزل التركيب. متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات، فخم الجملة، واضح الصلة بين اللفظ ومعناه، واللفظ وضريبه في التأليف والنسق، ثم لا ترى فيه حرفًا مضطربًا؛ ولا لفظة مستدعاة لمعناها أو مستكرهة عليه؛ ولا كلمة غيرها أتم منها أداء للمعنى وتأتيًا لسره في الاستعمال؛ ورأيته في الثانية حسن المعرض، بين الجملة، واضح التفضيل، ظاهر الحدود جيد الرصف،

متمكن المعنى؛ واسع الحيلة في تصريفه، بديع الإشارة، غريب اللمحة، ناصع البيان، ثم لا ترى فيه إحالة ولا استكراهًا، ولا ترى اضطرابًا ولا خطلًا، ولا استعانة من عجز، ولا توسعًا من ضيق، ولا ضعفًا في وجه من الوجوه"[1].

ومن خلال هذه المعايشة في رحاب السنة المطهرة توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها:

** النبي الأكرم (صلى الله عليه وسلم) هو مؤسس علم الوراثة، والجديد في قضية تحديد نوع الجنين هو ما طرأ فيها من تقدم في الوسائل والطرق التي يمكن من خلالها تحديد جنس الجنين ذكرا كان أم أنثى.

** فاضت الأحاديث النبوية بالحقائق العلمية وملئت بالإشارات إليها،كما ورد في الآيات القرآنية، لذا يجب تدبرها والبحث عن لآلئها، حتى يكون منها الانطلاق في البحث العلمي للوصول إلى الهدف والمسعى.

** استخدم النبي (صلى الله عليه وسلم) عند حديثه عن الحقائق العلمية الأسلوب الخبري ليناسب الإعلان والتصريح بهذه الحقائق العلمية الواردة، مؤكدا إياها بأبلغ لغة، وأفصح خطاب، وأدق تعبير، وأرقى أسلوب، حتى يصل المعنى إلى المتلقي كما أراده المتحدث.

** كما كان للاستفهام دوره في الأحاديث المعروضة، حيث كشف عن أهميته البالغة في عملية الإقناع والتواصل والفهم ، فقد تم من خلاله معالجة بعض الأخطاء، وتعليم نساء المسلمين أيضا أمور دينهن بصورة

[1] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ٢٢٠، ٢٢١ .

أكثر تأثيرا ، حتى يقمن بدورهن في المجتمع المسلم كما أراده لهن النبي – صلى الله عليه وسلم .

**********

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم

**الأحكام الشرعية والقانونية للتدخل في عوامل الوراثة والتكاثر، للدكتور السيد محمود عبد الرحيم مهران ، ط١، ٢٠٠٥ م.

** أساليب المنهج النبوي في تعليم المرأة (دراسة في الخصائص والمزايا)، د.فريدة محمد علي.

** إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي ١٩٥، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٥ م.

** بنت أم ولد نوع الجنين " هايزل فيليبس تبساهلتون .

**تفسير الماوردي = النكت والعيون ، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (٤٥٠هـ)،المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

**رؤية شرعية في تحديد جنس الجنين، خالدبن عبد الله المصلح

** صحيح الإمام مسلم ، دار الجيل، بيروت.

** الصحيح المسند للإمام البخاري(ت ٢٥٦ هـ)،

** لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (٧١١ه) ، دار صادر – بيروت، ط١ .

**معانى التراكيب دراسة تحليلية فى علم المعانى د٠ عبد الفتاح لاشين، دار الكتاب الجامعى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

**المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، دار الدعوة.

** ولد أم بنت" جاك برشن..